

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[7] لا شك أن القرآن تعالى يعلم عاقبة عمله، إلا أن التعبيرات المذكورة آنفاً درس لموسى وهارون وكل المصلحين والمرشدين إلى طريق القرآن (1). ومع هذه الحال، فقد كان موسى وهارون قلقين من أن هذا الرجل القوي المتعطر المستكبر، الذي عمّ رعبه وخشونته كل مكان، قد يقدم على عمل قبل أن يبلغ موسى (عليه السلام) وهارون (عليه السلام) الدعوة، ويهلكهما، لذلك (قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى). "يفرط" من مادة فرط - على وزن شرط - أي السبق والعجلة، ولذلك يقال للشخص الذي يردّ محلّ الماء أوّلاً: فرط، ونقرأ في كلام الإمام علي (عليه السلام) أمّا قبور الموتى بجبانة الكوفة: "أنتم لنا فرط سابق" (2). على كل حال، فإن موسى وهارون كانا مشفقين من شيئين: فإمّا أن يقسو فرعون ويستخدم القوة قبل أن يسمع كلامهما، أو أنّه يقدم على هذا العمل بعد سماعه هذا الكلام مباشرة، وكلتا الحالتين تهدّد مهمّتهما بالخطر. إلا أن سبحانه قد أجابهما بحزم: (قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى) وبناءً على هذا، فمع وجود القرآن القادر معكما في كل مكان، القرآن الذي يسمع كل شيء، ويرى كل شيء، وهو حاميكما وسندكما، فلا معنى للخوف والرعب. ثمّ يبيّن لهما بدقّة كيفية إلقاء دعوتهما في محضر فرعون في خمس جمل قصار قاطعة غنيّة المحتوى، ترتبط أوّلاً بأصل المهمّة، والثانية ببيان محتوى المهمّة، والثالثة بذكر الدليل والسند، والرابعة بترغيب الذين يقبلونها، وأخيراً فإنّ الخامسة تكفّلت بتهديد المعارضين. فتقول أوّلاً: (فأتياه فقولا إننا رسولا ربك) والجميل هنا أنهما بدل أن يقولوا: (ربنا) فإنّهما يقولان (ربك) ليثيروا عواطف فرعون وإحساساته تجاه هذه النقطة _____ 1 - لقد بحثنا في معنى (لعل) وبأي معنى وردت في القرآن بصورة مفصّلة في ذيل الآية (84) من سورة النساء. 2 - نهج البلاغة، الكلمات القصار رقم 130.